شرح

القواعد المثلى

في صفات الله وأسمائه الحسنى

محمد بن صالح العثيمين

– رحمه الله تعالىٰ –

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالىٰ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[الشريط التاسع]

أعدّ هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

الحمد الله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ ذكر المصنف -رحمه الله - القاعدة السادسة من قواعد الصفات ألا وهي: يلزم في إثبات الصفات التخلّي عن محظورين عظيمين وهما التمثيل والتكييف. وسبق أن تكلّمنا بعض الشيء على التمثيل، ذلكم المحذور الخطير الذي ينبغي على المسلم أن يكون في غاية الحذر منه؛ لأن الله -جل وعلا- تُثْبَتُ له صفاتُه على الوجه الذي يخصه ويليق بجلاله وكماله، وهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- كما قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، وكما قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾[مريم:٦٥]، قد ذكر المصنف -رحمه الله- الأدلة على بطلان التشبيه من السمع ومن العقل . ثم ختمها ببيان الفرق بين التّشبيه والتمثيل، قال: (**والتّشبيه كالتمثيل؛ وقد يفرَّق بينهما بأن التمثيل: التسوية في كل الصفات، والتشبيه: التسوية في أكثر الصفات؛ لكن التّعبير بنفي التمثيل أولىٰ لموافقة القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١].**)، فهٰذه فائدة ختم بها -رحمه الله- التّحذير من التمثيل، وهي في بيان الفرْق بين التّمثيل والتّشبيه.

وكثيراً ما يأتي في كتب أهل العلم في التّحذير من التّمثيل استعمال نفي التشبيه، يقولون: "لا شبيه له"، ويراد بذلك: لا مثيل له، أو "لا شِبْه له" ويراد: لا مِثْلَ له. فيطلق نفي التّشبيه ويراد به نفي التّمثيل. وهٰذا يأتي كثيراً في كلام أهل العلم وفي كتب السّلف، يأتي ذمّ التشبيه ويريدون به ذم التمثيل، لكن الشيخ -رحمه الله- يشير إلى أن ثمة فرقاً بينهما، قال: (**التمثيل: التسوية في كل الصفات**). إذا قيل: هٰذا مثل هٰذا، أي في كل الصفات. أمَّا (**التشبيه: التّسوية في أكثر الصفات**)، فهٰذا الفرق بينهما، التمثيل تسوية في كل الصفات، والتشبيه تسوية في أكثر الصفات. والذي جاء نفيه التّمثيل، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولهٰذا يقول الشّيخ رحمه الله: الأولى أن يُستعمل التّعبير القرآني لا التعبير الإنساني، لأنّ الله -عز وجل- قال في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فالأولى أن يستعمل القول القرآني -كلام لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وهو نفي التّمثيل لا نفي التشبيه. على أنّه إذا استُعمل نفي التشبيه -كما هو وارد في كثير من كتب أهل العلم- مراداً به نفي التّمثيل فلا حرج في ذلك، إذا اصطلح على استعمال نفي التّشبيه مراداً به نفي التمثيل فلا

حرج في ذلك كما هو شائعٌ ويكثر في كتب أهل العلم ذمّ التّشبيه وذمّ المشبِّهة مُراداً بذلك ذم التّمثيل وذم الممثِّلة.

ثم أخذ يتكلم عن المحذور الثاني وهو ذمّ التكييف، قال المؤلف – رحمه الله تعالى–:

[المتن]

وأما التكييف فهو: أن يعتقد المُثْبِت أنّ كيفية صفات الله –تعالىٰ– كذا وكذا من غير أن يقيِّدها بمماثل؛ وهـٰذا اعتقادٌ باطل بدليل السّمع والعقل.

أما السمع فمنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:١١٠].

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦)﴾[الإسراء:٣٦]؛ ومن المعلوم: أنّه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنه –تعالىٰ– أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكونُ تكييفها قَفْوًا لِمَا ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكلُّ هـٰذه الطرقِ منتفية في كيفية صفات الله عزّ وجل، فوجب بُطلان تكييفها.

وأيضا: فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدِّرها لصفات الله تعالىٰ؟

إنّ أيَّ كيفية تقدِّرها في ذهنك فالله أعظم وأجلّ من ذلك.

وأيّ كيفية تقدِّرها لصفات الله –تعالىٰ– فإنك ستكون كاذبا فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.

وحينئذ يجب الكَفّ عن التكييف تقديرًا بالجَنَان أو تقريرًا باللسان أو تحريرًا بالبَنَان.

ولهذا لَمّا سُئل مالك –رحمه الله تعالىٰ– عن قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، كيف استوىٰ؟ أطرق –رحمه الله– برأسه حتىٰ علاه الرُّحَضَاء (العرق)، ثم قال: (الاستواء غيرُ مجهول، والكيف غيرُ معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). ورُوي عن شيخه ربيعة أيضا: (الاستواء غيرُ مجهول، والكيف غير معقول). وقد مشىٰ أهل العلم بعدهما علىٰ هـٰذا الميزان.

وإذا كان الكيف غير معقول ولم يَرِد به الشرع فقد انتفىٰ عنه الدليلان العقلي والشرعي

فوجب الكَفُّ عنه.

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته فإنك إنْ فعلت وقعت في مفاوِز لا تستطيع الخلاص منها، وإنْ ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه مِنْ نزغاته، فالجأ إلىٰ ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك بـه فإنه طبيبك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّـهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[فصلت:٣٦].

[الشرح]

هـٰذا بيان من المصنّف -رحمه الله- لهـٰذا المحذور الذي هو التّكييف، والتكييف باطل كالتمثيل. ولا سبيل للعبد أن يعرف كيفية صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وإثبات أهل السنة والجماعة لصفات الله -جل وعلا- إثبات وجودٍ لا إثبات تكييف، عندما نقول: لله سمع، ولله بصر، ولله يد، ولله قـدم، ونحو ذلك من صفاته. فإثباتنا لها إثبات وجودٍ لا إثبات تكييف، نحن نُثبت وجودها ونقطع بأنّ الرَّب العظيم متّصفٌ بها لكننا لا نعلم كيفيتها؛ لأن الله -عزّ وجل- أخبرنا بأنه متصف بهـٰذه الصـفات و لم يخبرنا بكيفيتها، ولا مجال في هـٰذا الباب لتجاوز ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قد سبق أن مرَّ معنا قول الإمام أحمد رحمه الله: "نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لا نتجاوز القرآن والحديث". والقرآن والحديث لـيس فيهمـا إلا إثبات الصفات، وليس فيهما بيانٌ لكيفيتها، ولهـٰذا الكيفية مجهولة، لم تُبيَّن لنـا في القـرآن ولا في السنة، ولا طريق ولا سبيل إلى معرفتها. ولهـٰذا وجَب على المؤمن أن يقطع الطمع مـن نفسـه في إدراك كيفية صفة الرَّب، قد يقع في النفس طمع في معرفة كيفية صـفة الـرَّب، كـأن تتسـاءل نفسه: كيف يده سبحانه؟ كيف سمعه ؟ فالواجب في مثل هـٰذه الحال أن يقطع الطمع من قلبه؛ بأن لا يُفكِّر وأن لا يُقدِّر، وأن لا يُعمل ذهنه في هـٰذا الباب لأنه إعمال للذهن وشغل للفكر فيمـا لا سبيل له إلى الوصول إليه وتحصيله، ولو اشتغل مُشتغل بهـٰذا الباب فكلّ ما يُقدِّره ذهنه من كمـال وجمال وحُسْنٍ وعظمةٍ فالله أجلّ وأكبر من ذلك. كما يقول المؤمن معظِّماً ربّه: (الله أكبر) وبيَّن النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- معنى ذلك في حديثه لعدي بقوله: "**يا عدي ما يُفِرُّك؟ أيُفرُّك أن يقال: الله أكبر، وهل شيء أكبر من الله؟**". فالله -عز وجل- هو الكبير المتعال. ولا يمكن للعقـول القاصـرة والأفكار الضعيفة أن تبلغ معرفة كنه صفاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-، ولهـٰذا وجَب في هـٰذا البـاب أن

يقطع الإنسان الطمع في معرفة الكيفية. وإثبات أهل السنة والجماعة للصفات هو إثبات وجود لا إثبات تكييف، ولهٰذا من قواعد هٰذا الباب قول السلف رحمهم الله: " أمرُّوها كما جاءت بلا كيف". (أمرُّوها) أي: نصوص وأحاديث الصفات، (كما جاءت) أي: كما جاءت مُحمَّلةً بالمعاني، فنمرُّها كما جاءت بإثبات معانيها اللائقة بالله وبجلاله وكماله وعظمته سبحانه. (بلا كيف) أي: بلا خوض منّا في معرفة الكيفية. هٰذا هو مراد السلف بقولهم: (بلا كيف)، أي: بلا تكييف، بدون محاولة لمعرفة الكيفية، فالنفي هنا نفيٌ للعلم بالكيفية، لا نفيٌ لوجود الكيفية. فلنلاحظ هٰذا، قول السلف رحمهم الله: (بلا كيف) ينفون عِلمنا بالكيفية، أي بدون محاولة لمعرفة الكيفية، لأن هٰذا لا سبيل إليه، وليس مرادهم بقولهم: (بلا كيف) أي: أن صفة الله لا كيفية لها، هٰذا لا يقوله أحد من السلف؛ لأنّ ما لا كيفية لصفته عدم، والنفي هنا للعلم لا لوجود الكيفية. صفات الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– لها كيفية هو أعلم بها سبحانه، لكننا ننفي علمنا، ولهٰذا الإمام مالك –كما سيأتي كلامه– قال: "والكيْف مجهول". و لم يقل: معدوم، وفي بعض الروايات قال: والكيف غير معقول. و لم يقل: غير موجود. وفرق بين التعبيرين، فالله –عز وجل– لصفاته كيفية والنفيُّ للعلم، وفي النصوص أُخبرنا بوجود هٰذه الصفات و لم نُخبر بكيفيتها، والواجب الوقوف على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دون أن نتجاوز القرآن والحديث.

بدأ الشيخ –رحمه الله– أول ما بدأ في التحذير من التكييف ببيان ما هو التكييف وما حقيقته:

قال: (**هو: أن يعتقد المُثْبِت أنّ كيفية صفات الله –تعالىٰ– كذا وكذا من غير أن يقيِّدها بمماثل**). إذا قيّدها بمماثل أصبح تكييفه تمثيلاً، وإن لم يقيّدها بمماثل فهٰذا تكييف بلا تمثيل. ولهٰذا أشرتُ سابقاً إلى قول أهل العلم: "إن كل ممثِّلٍ مكيِّف وليس كل مكيِّفٍ ممثلاً" لماذا ليس كلُّ مكيِّفٍ ممثلاً؟ لأن المكيِّف قد يجعل صفة الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– على كيفية يقدِّرها هو في ذهنه ويتخرَّصُها في عقله دون أن يقيس هٰذه الصفة بالصفة المُشَاهدة التي يراها في المخلوقات، فهٰذا تكييف بلا تمثيل. إذن التكييف: إثبات الصفة لله –تعالى– على وجه يُقدِّر فيه المُثبِت على هٰذه الصفة له كيفية معيّنة. ولهٰذا قال بعض أهل العلم في تعريف التكييف: "هو السؤال عن الصفة بكيف، والبحث عن جواب هٰذا السؤال". هٰذا هو التكييف. يقول الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)**﴾[الرحمٰن:٥]، فيخوض المُكيِّف في بحث جواب: كيف استوى؟ (لله يدان) فيخوض

المكيف في بحث جواب: كيف يداه؟ وهكذا.. هـٰذا هو التكييف. وهو باطل. ولهـٰذا قال الشيخ: (**وهـٰذا اعتقادٌ باطل بدليل السّمع والعقل**).

ثم شرع في بيان دلالة السّمع على بطلان التكييف ثم دلالة العقل على ذلك. قال في دلالة السمع: (**أما السمع فمنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]**.) والآية واضحة الدلالة في بطلان التكييف؛ لأن العلم بالكيفية فرع للإحاطة والإدراك، والله -عز وجل- لا يحاط به علماً ولا تُدركُه الأبصار، فهـٰذه الإحاطة مُنتفية، ولهـٰذا لم يُنف هنا العلم به، وإنما نفي الإحاطة به علماً سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، قال: (**وقوله: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦)﴾[الإسراء:٣٦]**)، وهـٰذه أيضاً واضحة في بطلان التكييف لأن كل مُكيِّفٍ قد قَفا ما ليس له به علم، وهـٰذا من أعظم المحرمات. كذلك يدل على بطلان التكييف قول الله تعالى: ﴿**وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (١٦٩)**﴾[البقرة:١١٩]، والمُكيِّف قائلٌ على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- بلا علم، ويدلّ كذلك على بطلانه قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[الحجرات:١٠]، ومن أعظم هـٰذا التقدم بين يدي الله ورسوله الخوض في كيفية صفاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- مع أنه لا سبيل إلى معرفتها.

قال: (**ومن المعلوم: أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنّه -تعالىٰ- أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها**). تأمّل هـٰذه الكلمة (**أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها**) ولهـٰذا أهل السنة والجماعة إثباتهم للصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف. ولهـٰذا لو طُرِحَ سؤالٌ في هـٰذا الموضوع: لماذا إثبات أهل السنة للصفات إثبات وجود وليس إثبات تكييف؟ جوابه قول الشيخ رحمه الله: (**لأنه -تعالىٰ- أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها**)، أخبرنا في القرآن أنه استوى على العرش؛ لكن لم يخبرنا كيف استوى عليه، أخبرنا رسوله -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في ثلث الليل الآخِر، و لم يُخبرنا كيف ينزل. فنحن نُثْبِتُ ما أخبرنا به ونكفّ عن الخوض فيما لم نُخبَر به. وهـٰذا هو الوقوف عند النصوص وعدم التجاوز لها، نثبت ما أُخبرنا به وما لم نخبر به نكفّ، فأُخبرنا بالصفات نُثبِتُها ونؤمن بها، و لم نخبر بكيفية الصفات فلا نخوض في هـٰذا الباب، مع قطعنا بأن لصفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- كيفية لكنها مجهولة بالنسبة لنا؛ لا نعلمها.

قال: (**فيكونُ تكييفها قَفْوًا لِمَا ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.**). هنا يشير إلى

الدليلين السابقين، قوله: (**فيكونُ تكييفها قَفْوًا**) هـٰذا إشارة إلى الدليل الثاني وهو قوله: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾، وقوله: (**بما لا يمكننا الإحاطة به**) إشارة إلى الدليل الأول: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾.

ثم بعد ذلك ذكر –رحمه الله– الدليل العقلي على بطلان التكييف قال: (**وأما العقل: فلأن الشيء لا تُعرف كيفية صفاته إلاّ بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصّادق عنه، وكلُّ هـٰذه الطرقِ منتفية في كيفية صفات الله –عزّ وجل–، فوجب بُطلان تكييفها.**).

هـٰذه الآن ثلاثة طرق ذكرها الشيخ –رحمه الله– وكلها منتفية، لو وُجد شيء من هـٰذه الطرق لأمكن معرفة الكيفية، لكنها كلها منتفية، ومعرفة كيفية الشيء ــ أي شيء كان ــ لها ثلاثة طرق:

الطريق الأولى: العلم بكيفية ذاته. بأن ترى ذاته أو تكون على علم بكيفية ذاته، فيكون علمُك بصفات هـٰذا الشّيء فرعٌ لعلمك بكيفية ذاته.

الطريق الثانية: علمك بكيفية نظيره. أن يكون له نظير فتقيسه على نظيره، بأن ترى نظيره وتشاهده ويكون علمك بكيفيته قياساً على علمك بكيفية نظيره ولو لم تره.

الطريق الثالثة: الخبر الصّادق بكيفية صفاته.

وكل هـٰذه الطّرق الثلاثة منتفية:

- فالله –عزّ وجل– بالنّسبة لنا غيب لم نره.
- ولا نظير له –سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ– ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:١١].
- والطريق الثالثة وهي الخبر الصادق؛ الوحي كتاب الله وسنة نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فيهما إثبات لوجود الصفات، وليس فيهما بيان لكيفيتها.

فما ثمة طريق أو سبيل إلى معرفة كيفية صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ، ولهـٰذا وجب الوقوف وعدم الخوض في هـٰذا الباب لعدم الإمكان، ولأنّه لا سبيل إلى هـٰذه المعرفة. ولهـٰذا من قال: كيف سَمْعه؟ كيف يده؟ كيف قدمه؟ يقال له على ضوء ما قرّر الشيخ رحمه الله: كيف ذاته؟ أتُثبتُ له ذاتاً؟ يقول: نعم. فيقال: كيف ذاته؟ يقول: ذات لا كالذّوات، لا نعلم كيفيتها. يقال له: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. فإذا لم تعلم كيفية ذاته فكيف تعلم كيفية صفاته؟.

ولهـٰذا من القواعد في هـٰذا الباب (القول في الصفات فرعٌ عن القول في الذات)، وقاعدة أخرى: (القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.) هـٰذا دليل عقلي.

ثم ذكر دليلا عقلياً آخر فقال: (**وأيضا: فإننا نقول: أيُّ كيفية تقدِّرها لصفات الله تعالىٰ؟**) هـٰذا تساؤل: أيّ كيفية تقدِّرها لصفات الله وعقلك قاصر وفِكْرُكَ ضعيف؟ أيُّ كيفيةٍ تُقدِّرها؟ ما الذي سيبلُغه ذهنك من تقديرٍ لكيفية صفات الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ-؟ قال: (**إنّ أيَّ كيفية تقدِّرها في ذهنك فالله أعظم وأجلّ من ذلك.**) لأنّ الله -عز وجل- لا يبلغ كنه صفاته الواصفون ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)**﴾[الصافات:١٨٠]، لا يبلغ كنه صفاته الواصفون، أي مهما بلغ الواصف من تقديرٍ في الذِّهن لعظمة الرّبّ وكمال صفاته وجماله فإنّه لا يبلغ ذلك. (**وأيّ كيفية تقدِّرها لصفات الله -تعالىٰ- فإنك ستكون كاذبا فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.**)؛ أيّ كيفيةٍ تُقدِّرُها في ذهنك؛ أي: يا من خُضت في هـٰذا الباب فأنت كاذب في كل أحوالك. وهـٰذا يخاطب به الشيخ من ابتلي بالتكييف، أي كيفية يُقدِّرها من يُكيِّف في ذهنه هو كاذب فيها، لأن كل تقدير يقدره في ذهنه مهما بلغ من الكمال والحسن هو قول على الله بلا علم، ولهـٰذا لو قيل لهـٰذا المكيِّف: ما مُستند هـٰذا التكييف؟ لا مُستند له إلا التَخرُّص والخوض بالعقل فيما لا سبيل للعقل أن يصل إليه، هـٰذا من جهة.

من جهة أخرى -أشرتُ إليها- وهي أنّه مهما قَدَّر في ذهنه ـــ وهو تصوّر في فِكْره ـــ أمراً يرى أنه هو صفة الرَّب -سبحانه- فالله -عزّ وجل- أكبر من ذلك، والمخلوق حدوده وفِكرُه ناقص، وإذا أصبح يريد أن يجعل صفة الرّبّ -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- على ضوء ما يشاهده ويراه في هـٰذه المخلوقات يصبح شأنه كما قال بعض العلماء: شأن رجل وُلِدَ كفيف البصر لم ير شيئا من هـٰذه المخلوقات و لم يشاهد شيئاً منها، وفي لحظة من حياته منّ الله عليه بأن جعله يُبصر ثم أعاد عليه العمى مرة ثانية فلم ير إلا رأس ديك -هـٰذا الذي شاهده- فكان كلما قيل له شيء قاسه على رأس الديك، إذا قالوا له: الجمل. قال: ما حجمه بالنسبة إلى رأس الديك؟ يقيس كل شيء على رأس الديك. فهـٰذا مثال ذكره بعض أهل العلم، والأمثلة توضّح بعض المعاني، فالإنسان الذي شاهد هـٰذا الكون ورأى هـٰذه المخلوقات الصغيرة كيف يُقْحِم عقله وفِكره في معرفة صفة الرّب العظيم والخالق الجليل؟!

ولهـٰذا من الوجوه العقلية أيضا في إبطال التكييف أن الإنسان عاجزٌ عن إدراك كيفية كثيرٍ من المخلوقات، فكيف يُدرِك كيفية صفات خالقها؟! إذا كان عاجزًا عن إدراك كيفية المخلوقات فكيف

السبيل إلى أن يدرك كيفية الخالق؟ ولهـٰذا ذكر الذهبي في ترجمة عبد الرحمـٰن بن مهدي في سير أعلام النبلاء "أنه لقي غلاماً مُبتَلَى بالتكييف في صفات الرب، ويخوض فيها، ويتكلم في هـٰذا الباب مُقدِّراً كيفياتٍ لصفات الرب –سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ–. فقال له عبد الرحمـٰن بن مهدي: دعنا ننظر في كيفية صفات بعض المخلوقات، وننظر هل تستطيع أن تُقدِّر كيفياتها؟ فإنْ أمكنك ذلك تنتقل للخطوة الثانية التي هي معرفة كيفية صفات الرب وإن عجزت عن معرفة كيفية صفات المخلوقات فمن باب أولى أن تكون عاجزاً عن معرفة كيفية صفات خالقها، فاقتنع الغلام بهـٰذا الرأي، فقال له عبد الرحمـٰن بن مهدي: الله –جل وعلا– يقول عن الملائكة: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[فاطر:١]، وجاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل وقد سدَّ الأفق وله ستمائة جناح، ركِّب هـٰذه الأجنحة، أين أماكنُها؟ ستمائة جناح بيِّن كيفية تَركُّبها في المَلَك؟ وكيف يطير بها؟ كيف حركته؟ فبُهِتَ، قال له ابن المهدي: أنا أُهَوِن عليك الأمر؛ بعض الملائكة لهم ثلاث أجنحة ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾، بعضهم لهم ثلاثة أجنحة: جناح على اليمين، وجناح على اليسار، والثالث أين مكانه؟ وكيف يطير به؟ وكيف يتحرك بهـٰذا الجناح الثالث؟ قال: أنا عاجز وانتهيت عن الخوض في كيفية صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ". إذا كان العبد عاجزا عن معرفة كيفية المخلوقات، فكيف يخوض في معرفة كيفية الخالق –سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ–.

قال: (**وحينئذ يجب الكَفّ عن التكييف تقديرًا بالجَنَان**) أي بالقلب، لا يُقدِّر الإنسان في قلبه أي شيء في باب الكيفية، وإن دخل إلى قلبه شيء من ذلك يطرده ويتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم ويقول: (آمنت بالله) وينتهي عن الخوض في هـٰذا الباب، (**أو تقريرًا باللسان**) أي لا يتكلم بلسانه في شيء من هـٰذا. (**أو تحريرًا بالبَنَان**) أي لا يكتب بقلمه شيئاً من هـٰذا. فالتكييف باطل.

قال: (**ولهذا لَمّا سُئل مالك –رحمه الله تعالىٰ– عن قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، كيف استوىٰ؟ أطرق –رحمه الله– برأسه حتىٰ علاه الرُّحَضَاء (العرق)، ثم قال: (الاستواء غيرُ مجهول، والكيف غيرُ معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). ورُوي عن شيخه ربيعة أيضا: (الاستواء غيرُ مجهول، والكيف غير معقول). وقد مشىٰ أهل العلم بعدهما علىٰ هـٰذا الميزان.**

وإذا كان الكيف غير معقول ولم يَرِد به الشرع فقد انتفىٰ عنه الدليلان العقلي والشرعي

فوجب الكَفُّ عنه.)

كلمة الإمام مالك التي ساقها المصنف -رحمه الله- هنا وهي ثابتة عنه بالأسانيد الصحيحة عدّها أهل العلم قاعدة في هٰذا الباب، وليست مختصة بما سُئل عنه الإمام مالك -رحمه الله-، فما قاله مالك -رحمه الله- في جواب من سأله عن كيفية استواء الرب يقال جواباً لمن سأل عن كيفية أي صفة من صفاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، فهو كلام عظيم استحسنه أهل العلم وتلقَّوه بالقَبول. وقلَّ أن تجد كتاباً من كتب الاعتقاد إلاَّ ويورد هٰذا الأثر العظيم مع الثناء عليه وبيان مكانته وأنه قاعدة مطّردة تقال في كل صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ لأنّ باب الصفات واحد والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

وهنا لاحظ ملاحظة مهمة في جواب مالك -رحمه الله- أن السائل تلا الآية قال: (﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[طه:٥]، **كيف استوىٰ؟**) تلا الآية، فهو يعرف الآية ويعرف وجودها في القرآن الكريم وسُؤاله محدّد وهو كيفية هٰذا الاستواء الذي ذُكر في هٰذه الآية صفةً لله، ما كيفيته؟ (﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[طه:٥]، **كيف استوىٰ؟**) وقد عرفنا أن هٰذا الباب لا سبيل للعبد إلى العلم به، والخوض فيه باطل؛ لأنه خوض فيما لا سبيل له إلى العلم به، وهو قولٌ على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بلا علم، ولهٰذا لمَّا سمع مالك -رحمه الله- مقالة هٰذا السائل غضِب وعلاه الرّحضاء -أي تصبب عرقاً- وهٰذا غضبٌ لله وغيرةٌ على دين الله، وتعظيم لصفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-. (**علاه الرّحضاء**) أي تصبب عرقاً من سؤال هٰذا السائل، سؤاله الشنيع عن أمر لا سبيل للعباد أن يعرفوه. قال: (﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[طه:٥]، **كيف استوىٰ؟**) فأجابه مالك -رحمه الله- بقوله: (**الاستواء غيرُ مجهول، والكيف غيرُ معقول**)، مراده -رحمه الله- بقوله: (**غيرُ مجهول**) أي: معناه، لأن ﴿**اسْتَوَىٰ**﴾ هٰذه كلمة عربية واضحة المعنى بيِّنة الدلالة لا خفاء في معناها، فنحن نعرف معنى (استوى) من لغة العرب أنه علا وارتفع، استوى على الشيء: أي علا وارتفع عليه، فهو غير مجهول المعنى، ونحن نعرف من لغة العرب الفرق بين استوى ونزل، هٰذه لها معنى وهٰذه لها معنى، ونعرف معنى (استوى) ونعرف معنى (نزل) ولا يلتبس علينا الفرق بين استواء ونزول من حيث المعنى، المعنى واضح، ولهٰذا في بعض ألفاظ هٰذا الأثر قال: "الاستواء معلوم" أي معلوم معناه، لأنّا نحن خُوطِبنا في القرآن بكلام عربيٍّ مُبين، واضح بيّن، فمِن حيث المعنى فالمعنى

واضح ولا يلتبس علينا المعنى في قوله مثلاً: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح:٠٦]، كل هذه الآيات معانيها معروفة، نحن نعرف الفرق بين (استوى) و(غَضِبَ) و(رَضِيَ)، هذه معناها معروف في اللغة وهذه معناها معروف في اللغة، فـ(**الاستواء غيرُ مجهول**) أي: معناه غير مجهول، وهذا أيضاً هو معنى اللفظ الآخر "الاستواء معلوم" أي المعنى.

من يؤولون الاستواء من المتكلمين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم تبعاً لتأويلهم الوارد في القرآن أيضا أوّلوا كلام مالك –رحمه الله– على جادّة التأويل التي مضوا عليها، كما قد أوّلوا معنى الاستواء في القرآن بالاستيلاء، أيضاً أوّلوا كلام مالك –رحمه الله– بشيء لا يريده، الإمام مالك قال: "الاستواء معلوم" قالوا: نعم الاستواء معلوم ؛ يريد مالك أي أنه معلوم الورود في القرآن، أي نعلم أنه ورد في القرآن. هذا تحصيل حاصل. ومالك أنبل قدراً من أن يكون جوابه في أمرٍ هو تحصيل حاصل؛ لأن الرجل يعلم وروده في القرآن فقد قرأ الآية، و لهذا قلت لكم: انتبهوا من أنّ السائل قرأ الآية، قال: (﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٠٥]، **كيف استوى؟**) يقولون: مالك أجابه على سؤاله: (﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٠٥]، **كيف استوى؟**) قال: نعلم أن الاستواء موجود في القرآن. هذا معنى قوله عندهم "الاستواء معلوم" أي: معلوم وروده في القرآن.

(**الاستواء غيرُ مجهول**) أي: معناه فهي كلمة عربية واضحة المعنى بيّنة الدلالة لا خفاء فيها، (**والكيف غير معقول**) أي لا سبيل إلى العقول أن تعرفه، لأنّ العقول قاصرة عن إدراك كيفية صفات الرّب – تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– وعاجزة عن ذلك، (**والإيمان به**) أي: الاستواء (**واجب**) لثبوته بالأدلة، فيجب الإيمان به وإثباته صفة لله كما أثبته الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– لنفسه، (**والسّؤال عنه بدعة**) أي السؤال عن كيفية استوائه –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– بدعة، أمرٌ مُحدَث في دين الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–، و لم يوجد إلا عند أهل الباطل، أما الصّحابة ومن سار على نهجهم فما وُجد عندهم هذا السؤال.

ثم هذه الكلمة –كما أشرت– عدّها أهل العلم قاعدة تقال في جميع الصّفات.

ولهذا لو قال قائل: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة**" كيف نزوله؟ نجيبه بما أجاب به مالك –رحمه الله – من سأل عن كيفية استوائه نقول: النزول غير مجهول وكيفيته غير معقولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، كيف يداه؟ نقول: (اليدان غير مجهولتين من حيث المعنى)، نعرف الفرق بين يد ووجه وقدم. هٰذا معنى معروف في لغة العرب. فهو غير مجهول من حيث المعنى، (والكيف غير معقول) أي كيفية اليدين غير معقولة، لا نعقل كيفية يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ. (والإيمان بهما واجب) أي الإيمان بهما صفة لله. (والسؤال عن كيفيتهما بدعة محدثة في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ). وهي قاعدة تقال في الصفات الذاتية والصفات الفعلية، في كل الصفات يمكن أن تجيب من سأل عن الكيفية بما أجاب به مالك -رحمه الله- من سأله عن كيفية الاستواء.

وأشار الشيخ إلى أنَّ هٰذا الأثر أيضاً رُوي عن شيخ مالك ربيعة الرّأي أنه قال: (**الاستواء غيرُ مجهول، والكيف غير معقول**) ولهٰذا -رحمه الله- يحتمل أنه سمع الجواب من شيخه في وقت سابق فأجاب به بناءً على ما سمعه من شيخه، واحتمال أن يكون هٰذا من باب التوافق في الإجابة؛ يعني جواب التلميذ وافق جواباً كان لشيخه في مثل هٰذه المناسبة. فيحتمل أنَّ مالكاً -رحمه الله - سمع الجواب من شيخه فأجاب بهٰذا الجواب على ضوء سماعه من شيخه. ويحتمل أن يكون لم يسمعه ووافق جوابه جواب شيخه.

قال: (**وقد مشىٰ أهل العلم بعدهما**) أي مالك وشيخه (**علىٰ هٰذا الميزان**). لاحظ قوله: (**علىٰ هٰذا الميزان**) إشارة إلى أنّ هٰذا الأثر يعدّ ميزانا في الباب أي: قاعدة تطبق ويُسار على ضوئها في جميع الصفات، ولهٰذا يمكن أن نأخذ من أثر مالك قاعدة -نصوغه صياغة قاعدة- فنقول: **صفات الله غير مجهولة، وكيفياتها غير معقولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة.**

قال: (**وإذا كان الكيف غير معقول ولم يَرِد به الشرع فقد انتفىٰ عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكَفُّ عنه.**). انتفى الدليل العقلي مثل ما قال الإمام مالك: لا سبيل إلى العقل أن يبلغه، والدليل الشرعي منتفي؛ لأنه -كما عرفنا- ليس في الشرع فيما يتعلق بالصفات إلا إثبات الوجود، أما إثبات الكيفية فهٰذا ليس موجودًا في القرآن والسنة.

ثم قال رحمه الله: (**فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته فإنّك إنْ فعلت وقعت في مفاوِز لا تستطيع الخلاص منها**) يعني إذا أقحم الإنسان عقله وفكره في هٰذا الباب وقع في مَهلكة، وأدخل نفسه في باب عطب وهلاك وردى من غير طائل، ومن غير أن يحصِّل نتيجة، فهو يخوض في باب لا سبيل من الوصول منه إلى غاية؛ بل لا يصل منه إلا إلى الضلال والردى، قال: (**وإنْ ألقاه الشيطان**

في قلبك) والشيطان قد يلقي في قلب الإنسان شيئاً من هـٰذه الوساوس كيف كذا وكيف كذا؟ فما الواجب في مثل هـٰذا المقام؟ قال: (وإنْ ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه مِنْ نزغاته، فالجأ إلىٰ ربك فإنه معاذك) يعني استعذ بالله كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[فصلت:٣٦]، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧)﴾[المؤمنون:٩٧]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾[سورة:الناس] فتعوّذ بالله من الشّيطان، واطرد هـٰذا الهاجس والفكر من قلبك ولا تبقيه في قلبك، وانتهِ عن هـٰذا الأمر وامتنع عنه.

قال: (وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك) أي أن ما أمرك الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- به من التعوذ به من الشيطان هو طبُّ هـٰذا الداء وعلاجه، لأنّ الخوض في هـٰذا الأمر داء ومرض، وعلاج هـٰذا المرض بالكف عنه والتعوذ بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- من الشيطان الرجيم. (قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[فصلت:٣٦]).

❁❁❁❁

[المتن]

القاعدة السابعة: صفات الله –تعالىٰ– توقيفيّة لا مجال للعقل فيها.

فلا نُثبت لله –تعالىٰ– من الصفات إلا ما دلّ الكتاب والسنة علىٰ ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ: (لا يوصَفُ اللهُ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله؛ لا يُتجاوز القرآن والحديث) انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء.

ولدلالة الكتاب والسنة علىٰ ثبوت الصفة ثلاثة أوجُه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوها.

الثاني: تضمُّنُ الاسم لها، مثل: (الغفور) متضمِّنٌ للمغفرة، و(السميع) متضمِّنٌ للسمع، ونحو ذلك، انظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.

الثالث: التصريح بفعلٍ أو وصْفٍ دالٍّ عليها كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين الدال عليها علىٰ الترتيب قولُه

تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:٥]، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يترل ربنا إلىٰ السماء الدنيا ..." الحديث،[١] وقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[الفجر:٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[السجدة:٢٢].

[الشرح]

قال رحمه الله: (القاعدة السابعة: صفات الله –تعالىٰ– توقيفيّة لا مجال للعقل فيها. فلا نُثبت لله –تعالىٰ– من الصفات إلا ما دلّ الكتاب والسنة علىٰ ثبوته)، قال: (صفات الله –تعالىٰ– توقيفيّة) فهٰذه القاعدة نظير القاعدة التي مرّت معنا في باب قواعد الأسماء "أسماء الله توقيفية" ولهٰذا الأدلة التي ساقها الشيخ –رحمه الله– هناك مُستدلاً بها على أن أسماء الله توقيفية هي ذاتها دليل على أن صفات الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– توقيفية، ومعنى توقيفية: أي يُتوقف في إثباتها على النص، لا يُتجاوز كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولهٰذا ساق المصنف هنا قول الإمام أحمد رحمه الله: (لا يوصَفُ اللهُ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لا يُتجاوز القرآن والحديث).

قال: (انظر: القاعدة الخامسة في الأسماء.)؛ لأنّ باب الأسماء والصفات واحد؛ يُتوقف فيه على النّص ولا يتجاوز فيه الدليل. وإشارة الشيخ إلى القاعدة الخامسة في الأسماء، أي: أنّ الأدلّة التي ذكرت هناك صالحة لأن يُستدل بها هنا، ولهٰذا اكتفى الشيخ –رحمه الله– بهٰذه الإشارة (صفات الله –تعالىٰ– توقيفيّة لا مجال للعقل فيها).

ثم بناءً على هٰذه القاعدة قال: (ولدلالة الكتاب والسنة علىٰ ثبوت الصفة ثلاثة أوجُه) وذكرها: (الأول) و(الثاني) و(الثالث). بينما لدلالة الكتاب والسنة على الاسم وجه واحد وهو: التنصيص عليه. ولهٰذا مرَّ معنا أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء. ذكر الشيخ الطرق الثلاثة لمعرفة الصّفة:

– **الطريق الأولى**: (التّصريح بالصفة كالعزة) في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾[المنافقون:٨]، فهٰذا تصريح بالصفة، أيضا: (القوة): ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾[الذاريات:٥٨]،

([١]) **البخاري**: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل..، حديث رقم (١١٤٥).
مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.. حديث رقم (٧٥٨).

و(الرحمة): ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[الكهف:٥٨]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦] و(البطش): ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)﴾[البروج:١٢]، و(الوجه): ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَ وَجْهَهُ﴾[القصص:٨٨]، و(اليدين): ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥]، فهذه الآيات فيها التصريح بالصفة؛ يعني ذُكرت الصفة تصريحاً، فهذا طريق لمعرفة الصفة؛ أن تأتي مُصرَّحاً بها في القرآن.

- **الطريق الثانية:** (تضمُّنُ الاسم لها). ومرَّ معنا في قاعدة "أسماء الله كلُّها حسنى"، أن وجه الحُسن فيها كون كل اسم منها دالٌّ على صفة كمال لله، فكل اسم متضمن لصفة كمال. فإذاً هذه طريق ثانية لإثبات الصفة من خلال الأسماء، (العليم) نأخذ منه صفة العلم، (السميع) نأخذ منه صفة السمع، (البصير) نأخذ منه صفة البصر... وهكذا. فإذن هذه طريقٌ ثانية لمعرفة الصفة. قال: (تضمُّنُ الاسم لها، مثل: (الغفور) متضمِّنٌ للمغفرة، و(السميع) متضمِّنٌ للسمع، ونحو ذلك، أنظر: القاعدة الثالثة في الأسماء.).

الدلالات: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن ودلالة الالتزام، وأيضاً يُناسِب الرجوع هنا إلى القاعدة الأولى من القواعد التي ذكرها الشيخ، والقاعدة الثانية، كلها شاهد لهذا.

القاعدة الأولى: أسماء الله كلها حسنى. والقاعدة الثانية: أسماء الله أعلام وأوصاف.

فهذه كلها تصلح دليلاً لهذا الطريق.

- **الطريق الثالثة:** (التصريح بفعلٍ أو وصْفٍ دالٍّ عليها). يعني دالّ على الصفة (كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قولُه تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ..." الحديث، وقول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾[الفجر:٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[السجدة:٢٢].).

فلاحظ هنا على الترتيب قوله: ﴿اسْتَوَى﴾ هذا فعل أُخذ منه صفة (الاستواء)، وكذلك قوله: "ينزل" هذا فعل أُخذ منه صفة (النزول)، وقوله: ﴿وَجَاءَ﴾ هذا فعل أُخذ منه صفة (المجيء)، والوصف في قوله: ﴿مُنْتَقِمُونَ﴾ أُخذ منه صفة الانتقام، ولهذا المنتقِم ليس اسماً من أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الحسنى، وإنما هو وصف جاء مقيَّداً ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾، فلهذا

هـــٰذا الوصف المقيَّد لا يُؤخذ منه اسم لله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

الشاهد: أنّ هـــٰذه ثلاثة طرق لمعرفة الصفة.

- عن طريق التصريح بها.
- وعن طريق الاسم الذي تتضمنها.
- وعن طريق الفعل الذي دلّ عليها.

وأيضًا ثَمّ طريق رابع لمعرفة الصفة وسبق أن أشار إليه الشيخ -رحمه الله- عندما تكلم عن الصّفات السلبية؛ ذكر هناك قاعدة في الصفات السلبية وأن السلب فيها ليس محضاً وصِرْفاً، وإنما هو نفي متضمن ثبوت كمال ضدّ المنفي، فنُثبت من قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾[فصلت:٤٦]، كمال عدْله، ونثبت من قوله: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، كمال حياته وقيوميّته، وهكذا كل نفي في القرآن نأخذ منه ثبوت صفة ثبوتية ضد هـــٰذه الصفة السلبية، فنثبت له كمال ضد ما نفاه، يعني نثبت له مما نفاه كمال ضد المنفي، فهـــٰذه طريق رابعة.

ولهـــٰذا مثلا العلم، فهـــٰذه الصفة نستطيع أن نثبتها لله من أربعة طرق:

الطريق الأولى: التصريح بالصفة: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾[البقرة:٢٥٥].

الطريق الثانية: نأخذ أيضاً هـــٰذه الصفة من اسمه (العليم): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)﴾[الحجرات:١]، هـــٰذا الاسم نأخذ منه ثبوت صفة العلم.

الطريق الثالثة: نأخذ صفة العلم من الفعل الدال على هـــٰذه الصفة، مثل قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[البقرة:٢٥٥]، قوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ هـــٰذا نأخذ منه صفة العلم، يعني الفعل الدّال على الصفة.

الطريق الرابعة: نأخذ هـــٰذه الصفة عند إثبات كمال ضد المنفي، مثلا قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)﴾[مريم:٦٤]، نفي النّسيان عنه دليل على كمال العلم، أيضا قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ﴾[النمل:٩٣]، نفي ذلك دليل على كمال علمه، أيضا قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)﴾[فاطر:٤٤]، في ذلك دليل على علمه، ولهـــٰذا الشيخ -رحمه الله- هناك لو رجعنا إلى ما ذكره -رحمه الله- في القاعدة الثالثة من قواعد

الصفات في آخرها قال: (مثالٌ ثالث: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، فنفي العجز عنه يتضمّن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)﴾[فاطر:٤٤] لأنّ العجز سببه إمّا الجهل بأسباب الإيجاد وإمّا قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله –تعالىٰ– وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السمٰوات ولا في الأرض)، قال: (وبهٰذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمّن أكثر من كمال.).

على كل حال هٰذه الآن أربعة طرق ممكن من خلالها معرفة الصفة: إما التصريح بها، أو تضمن الاسم لها، أو الفعل الدال عليها، أو إثباتها من خلال النفي الذي يتضمّن إثبات كمال ضد المنفي.

[المتن]

قواعد في أدلة الأسماء والصفات

القاعدة الأولى

الأدلة التي تُثبت بها أسماء الله –تعالىٰ– وصفاته هي: كتاب الله –تعالىٰ–، وسنة رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ فلا تُثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.

وعلىٰ هٰذا: فما ورد إثباته لله –تعالىٰ– من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما وجب نفيُه مع إثبات كمال ضدّه.

وما لم يَرِد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقُّف في لفظه؛ فلا يُثْبَت ولا ينفىٰ لعدم ورود الإثبات والنفي فيه، وأما معناه فيُفَصَّلُ فيه: فإن أُريد به حقٌّ يليق بالله تعالىٰ فهو مقبول، وإن أُريد به معنىٰ لا يليق بالله –عزّ وجل– وجب ردُّه.

١– فممّا ورد إثباته لله تعالىٰ: كلُّ صفة دلَّ عليها اسمٌ من أسماء الله –تعالىٰ– دلالة مُطَابَقَة أو تَضمُّن أو التزام.

ومنه: كلُّ صفة دلّ عليها فعلٌ من أفعاله كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تُحصىٰ أنواعها فضلاً عن أفرادها ﴿وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾[إبراهيم:٢٧].

ومنه: الوجه، والعينان، واليدان، ونحوها.

ومنه: الكلام، والمشيئة، والإرادة بقسميها الكوني والشرعي، فالكونية بمعنىٰ المشيئة والشرعية بمعنىٰ المحبة.

ومنه: الرضا، والمحبة، والغضب، والكراهة ونحوها.[١]

٢- ومما ورد نفيه عن الله -سبحانه- لانتفائه وثبوت كمال ضدّه: الموت، والنوم، والسِّنَة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤ، ونحو ذلك[٢]

٣- وممّا لم يَرِد إثباته ولا نفيه لفظ (الجهة). فلو سأل سائل: هل ثبت لله تعالىٰ جهة؟ قلنا له: الجهة لم يَرِد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أنّ الله تعالىٰ في السماء.

وأما معناه: فإما أن يُراد به جهة سفل أو جهة تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به.

فالأول: باطل لمنافاته لعلو الله تعالىٰ الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني: باطل أيضا لأن الله تعالىٰ أعظم من أن يحيط به شيءٌ من مخلوقاته.

والثالث: حق لأن الله تعالىٰ العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

[الشرح]

قال رحمه الله: (**قواعد في أدلة الأسماء والصفات**) هـٰذه القواعد التي ساقها الشيخ -رحمه الله- هنا تحت هـٰذه العنوان (**قواعد في أدلة الأسماء والصفات**) هي في الحقيقة قواعد في غاية الأهمية لأن مع كثرة المناهج والطرائق التي تتعامل مع نصوص الكتاب والسنة على وجوهات مختلفة جعلت متأكّدا في حق من يريد لنفسه السلامة والنهج الصحيح أن يسير في فهم النصوص على ضوء قواعد صحيحة وضوابط قويمة حتى لا ينحرف به السبيل. فالمناهج في فهم النصوص وفهم القرآن والسنة كثيرة ومتعددة، وكلٌّ يدّعي أن نهجه هو النهج الصحيح، وهـٰذه القواعد التي يذكر الشيخ -رحمه الله- هي قواعد في ضبط المنهج مع الأدلة، أو هي قواعد في النهج الذي ينهجه المسلم مع أدلة الأسماء والصفات. كيف يستدل وكيف يتعامل مع الأدلة؟ وكيف يكون طريقه مع هـٰذه الأدلة؟ وكلّ هـٰذه القواعد تضبط هـٰذا المسار، وتحدد معالمه، ويؤمن بضبطها والسير على ضوئها بإذن الله -

---

(١) أدلة هـٰذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد.

(٢) أدلة هـٰذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد.

تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- من العِثَار.

قال: (**الأدلة التي تُثبت بها أسماء الله –تعالىٰ– وصفاته هي: كتاب الله –تعالىٰ–، وسنة رسوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ فلا تُثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما.**). هٰذه مقدمة للقاعدة، والشيخ –رحمه الله– سبق أن ذكر الأدلة على ذلك عندما بيّن أن أسماء الله وصفاته وتوقيفه، أي يتوقف فيها على ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فالأدلة التي تثبت بها الصفات هي الكتاب والسنة.

قال: (**وعلىٰ هٰذا**) أي بناءً على هٰذا الأصل المكين والأساس المتين، بناءً عليه (**فما ورد إثباته لله –تعالىٰ– من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما وجب نفيُه مع إثبات كمال ضدّه.**

وما لم يَرِد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقُّف في لفظه؛ فلا يُثْبَت ولا ينفىٰ لعدم ورود الإثبات والنفي فيه، وأما معناه فيُفَصَّلُ فيه: فإن أُريد به حقٌّ يليق بالله –تعالىٰ– فهو مقبول، وإن أُريد به معنىٰ لا يليق بالله –عزّ وجل– وجب ردُّه.). الأصل هنا في القاعدة: أن الصفات لا تُثبت إلا بدليل من الكتاب والسنة، بنى الشيخ –رحمه الله– على هٰذا الأصل أن الصفات –من حيث هي– على ثلاثة أنواع:

- نوع منها ثبت في الكتاب والسنة؛ يعني جاء إثباته في الكتاب والسنة.
- ونوع آخر جاء نفيه في الكتاب و السنة.
- ونوع ثلاث لم يأت في الكتاب والسنة لا الإثبات ولا النفي، يعني لم يُثبت و لم يُنف.

نوع أثبت، ونوع نُفي، ونوع لم يثبت و لم ينف. فكيف يكون التعامل مع هٰذه الأنواع الثلاثة، والقاعدة في هٰذا الباب الصفات لا يتجاوز فيه الكتاب والسنة؟

قال رحمه الله: إن ما أُثبت في الكتاب والسنة من الصفات نثبته، وستأتي أمثلة لذلك وما نفي منها في الكتاب والسنة ننفيه مع إثبات كمال الضد، وما لم ينف و لم يثبت في الكتاب والسنة هٰذا نتوقف في لفظه ونفسِّر معناه، فإذا كان المعنى المراد حقا فالحق ثابت وإن كان المراد معنى باطلا فالباطل مردود. هٰذا إجمال سيأتي تفصيله، والقسمة التي ذكر ثلاثة، سيبدأ في تفصيلها واحداً واحداً.

والنوع الأول من أنواع الصفات قال: (**فممّا ورد إثباته لله تعالىٰ: كلُّ صفة دلَّ عليها اسمٌ من أسماء الله–تعالىٰ– دلالة مُطَابَقَة أو تَضمُّن أو التزام.**

ومنه: كلُّ صفة دلّ عليها فعلٌ من أفعاله كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تُحصىٰ أنواعها فضلاً عن أفرادها ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾[إبراهيم:٢٧].

ومنه: الوجه، والعينان، واليدان، ونحوها.) أي منها ما صرّح فيه بالصفة أو نص فيه بالصفة.

(**ومنه: الكلام، والمشيئة، والإرادة بقسميها الكوني والشرعي، فالكونية بمعنىٰ المشيئة والشرعية بمعنىٰ المحبة.**

ومنه: الرضا، والمحبة، والغضب، والكراهة ونحوها) قال الشيخ في الهامش: (**أدلة هٰذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد**). الكلام على هٰذه الصفات وعلى أدلتها ومناقشة المخالفين فيها هٰذا بابه واسع، وربما أن الوقت لا يتسع للخوض في ذلك فأُحيلكم مثل ما أحالكم الشيخ –رحمه الله– إلى كتب العقائد مثل: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله– مع شروحاتها، أرى أنها كافية ووافية في بيان ذلك.

قال: (**ومما ورد نفيه عن الله –سبحانه– لانتفائه وثبوت كمال ضدّه: الموت، والنوم، والسِّنَة، والعجز، والإعياء، والظلم، والغفلة عن أعمال العباد**) أخذاً من قوله ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ**﴾[النمل:٩٣]، (**وأن يكون له مثيل أو كفؤ ونحو ذلك**) قال في الهامش: (**أدلة هٰذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد**). هٰذا النوع الثاني (**مما ورد نفيه**)، والطريقة في هٰذا النوع أن ينفى عن الله –تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ– كما نفاه الرّب –سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ– عن نفسه.

ثم بعده هو النوع الثالث عند قوله: (**ومما لم يَرِد إثباته ولا نفيه**).[1]

[1] انتهىٰ الشريط الثامن.